جدلية القراءات القرآنية والأحرف السبعة

The modes of recitation (qira'at) in the seven dialects of the Quran (7 ahruf).

أستاذ مؤقت/ بولخطوط محمد

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة محمد الصديق بن يحي- جيجل(الجزائر)

mohammed.boulekhtout@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2018/09/29 تاريخ القبول: 2018/11/05

ملخص:

عرفت مسألة القراءات القرآنية وعلاقتها بالأحرف السبعة تضاربا شديدا، واختلافا واسعا بين العلماء والباحثين في ميدان الدراسات القرآنية، حيث ذهبوا في ذلك مذاهب شتّى، كلّ مذهب له ركائزه وأسسه المعتمدة في تبيان الحدود القائمة بين القراءات والأحرف. وعلى هذا الأساس نحاول في هذه الورقة البحثية عرض أبرز هذه الآراء والمواقف، محاولين إيجاد مخرج لهذه القضية، التي كثيرا ما أثارت الجدل نظرا لتشابك وتداخل المفاهيم والتصوّرات.

الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية؛ الأحرف السبعة؛ القرآن الكريم.

Abstract :

The relation between the different modes of recitation or readings (qira'at) and the Seven dialects of the Quran (7 ahruf) has known a huge conflict and diversity among the scholars and researchers in the study of the Holy Quran. This conflict resulted in the appearance of several doctrines each aiming to shed light on the boundaries between the two concepts of qira'at and ahruf. This research paper,in turn, aims to showcase the most prominent views and opinions concerning this subject seeking to reach a solution to the issue.

Keywords : modes of recitation (qira'at); the seven dialects in the Quran (7 ahruf); the Holy Quran.

تقديم:

إنّ لحديث نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف روايات كثيرة وطرقا شتّى، منها ما هو صحيح معتمد، ومنها ما هو ضعيف متروك، ومنها ما هو بين هذا وذاك، غير أنّ ما هو مشترك بين هذه الروايات والطرق هو نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، إذ بلغ ذلك مبلغ التواتر،

المنارة للاستشارات
www

وقد تصدّى لبيان المقصود بالأحرف السبعة كثير من العلماء على مرّ العصور، فجاءوا بآراء متباينة، بلغت قرابة أربعين قولا، حتى إنّ بعض المهتمّين قد أفردوا للمسألة مباحث ومصنّفات خاصّة، ولعلّ أبرز الروايات التي شهدت دورانا واسعا بين العلماء صلة القراءات القرآنية بالأحرف السبعة، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك وقالوا: إنّ الأحرف السبعة هي نفسها القراءات سواء السبعة أو العشرة. ولهذا نتساءل فنقول: **ما المقصود بالقراءة القرآنية؟، وما معنى الأحرف السبعة للقرآن؟، ثمّ ما علاقة القراءات القرآنية بالأحرف السبعة؟، أهما فعلا شيء واحد، أم بينهما اختلاف وتباين؟**

1- مفهوم علم القراءات وموضوعه:

منذ أن أصبح لمعظم الكلمات دلالتان: إحداهما لغوية والأخرى اصطلاحية، درج الباحثون في مثل موضوعنا على أن يتعرّفوا أولا على معنى اللفظ في اللغة، ثمّ على معناه في الاصطلاح، والأصل أن يكون المعنى الاصطلاحي مرتبطا بالمعنى اللغوي ويمتّ إليه.

1-1: مفهوم علم القراءات

أ/ لغة

ورد في "لسان العرب" لـ"ابن منظور" في تفسير مادة "قَرَأَ"(*): «القرآن العزيز، وإنّما قُدّم على ما هو أبسط منه لشرفه (...) وقَرَأْتُ الشّيء قُرآنًا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض (...)، ومعنى قرأت القرآن: لفظت به مجموعا: أي ألقيته (...) وقَرَأْتُ الكتاب قراءةً وقُرآنًا، ومنه سمّي القرآن، وأَقْرَأَهُ القرآن فهو: مُقْرِئ (...)، واسْتَقْرَأَهُ: طلب إليه أن يقرأ (...) والقَرْءُ: الوقت، وقَرَأَتِ الناقة: ولدت، وأَقْرَأَتْ الناقة والشاة: استقرّ الماء في رحمها، وهي في قِرْوَتِهَا...»(1)، إذن فالقراءة في اللغة تحيل إلى معنى: الجمع والضمّ والأداء.

ب/ اصطلاحا

لاقى علم القراءات كغيره من المصطلحات الأخرى اختلافا وتضاربا كبيرْين بين العلماء حول مفهومه، فمنهم من عرّفه بـ "القراءات"، ومنهم من عرّفه بـ "علم القراءات"، وسنذكر هاهنا بعض هذه التعريفات التي لاقت رواجا وقبولا من بعض الدارسين:

* **تعريف "الزركشي" (ت/794هـ)**: يعرّف "القراءات" بقوله: «القراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما».(2)

يتبيّن لنا من خلال هذا التعريف أنّ الإمام "الزركشي" قد عرّف القراءات لا علم القراءات، فضلا على أنّه قد حصرها في مواضع الاختلاف فقط، وكأنّه بهذا ينفي انتماء مواطن التشابه إلى القراءات، كما ركّز في تعريفه السابق على ركن واحد فقط من أركان القراءة السليمة، وهو: "موافقة الرسم العثماني"، ويتّضح ذلك جليّا من خلال قوله "كتبة الحروف"، في حين أغفل إغفالا تاما أهمّ عناصر أصول القراءة القرآنية ألا وهي: النقل والرواية.

المنارة للاستشارات

* **تعريف "ابن الجزري" (ت/ 833هـ)**: يقول معرّفا "علم القراءات": «أمّا علم القراءات فهو العلم الذي يعنى بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزوا إلى ناقله».[3]

* **تعريف "البنّا الدمياطي" (ت/1117هـ)**: يقول معرّفا "علم القراءات": «هو علم يُعْلَمُ به اتّفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السّماع».[4]

إذن، فـ"الدمياطي" في هذا التعريف قد اهتمّ بعلم القراءات، وليس بالقراءات كما فعل الإمام "الزركشي" مؤكّدا أنّ القراءة هي الأصل الذي يعرف به ما اختلف عنه من فروعه (الرواية والطريق)، ليكون تعريفه ـ بهذا ـ أشمل وأعمّ من تعريف "الزركشي"؛ حيث أكّد بأنّ القراءات تشمل مواطن الاتفاق والاختلاف معا، والموجودة في الروايات والطرق، كما أنّه لم يهمل في تعريفه هذا العنصر: النقل والرواية والسّماع.

* **تعريف"عبد العظيم الزرقاني"(ت/1948هـ)**يقول: «مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء، مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف، أم في نطق هيئاتها».[5]

وقد قدّم الإمام "الزرقاني" في هذا التعريف، مفهومًا "للقراءات" وهي عنده اتجاه خاص بإمام معيّن، يختلف فيه مع غيره من الأئمة الآخرين في كيفيات النطق بكلام الله عزّ وجلّ، دون أن يهمل أساس القراءة وأسّها وهو الرواية والنقل، بيد أنّه قد حصر القراءات في مواطن الاتفاق ـ على عكس الإمام "الزركشي"ـ التي تُنْقَل عن القراءة وبين الطرق التي تنقل عن الرواية؛ وكأنّه بهذا يريد أن يؤكّد بأنّ مواطن الاختلاف والتباين لا تمتّ للقراءة بصلة لا من قريب ولا من بعيد، وفي ذلك مبالغة شديدة.

يتبيّن لنا من خلال ما سبق أنّ هناك فرقا واضحا بين "القراءات" و"علم القراءات":

فالقراءات: هي مذاهب الناقلين لكلام الله تعالى فيما تعلّق بكيفية أداء الكلمات القرآنية والنطق بها إمّا اتّفاقا وإمّا اختلافا في السماع والرواية.

أمّا علم القراءات: فهو العلم الذي يُعْرَف به كيفية أداء الكلمات القرآنية وطرق النطق بها اتفاقا واختلافا، مع نسبة كلّ طريق (وجه) إلى ناقله (صاحبه).

1-2: موضوع علم القراءات

يتبيّن لنا من خلال التعريفات السابقة بأنّ موضوع العلم هو كلمات القرآن الكريم، من حيث النطق بها وكيفية أدائها، ولأجل ذلك فقد عُدّ هذا العلم من أشرف العلوم الشرعية التي تدور حول القرآن الكريم؛ لتعلّقه تعلّقا مباشرا بأشرف كتاب وهو القرآن، ما دامت مادته هي حروف وكلمات هذا الكتاب. أمّا فيما يخصّ واضعه ففي ذلك خلاف، فقيل أئمة القراء، وقيل "أبو عمر حفص بن عمر الدوري" رحمه الله، أمّا عن أوّل من دوّن في هذا العلم فقيل"أبو عبيد

المنارة للاستشارات

القاسم بن سلام" (ت/224هـ) رحمه الله، وأمّا فيما يخصّ استمداده فمن النقول الصحيحة والمتواترة عن علماء القراءات الموصولة السند إلى رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)**.(6)

يقول "المارغني" في عرض بعض فوائد هذا العلم: «ولعلم القراءات فوائد كثيرة، منها: صيانة كتاب الله تعالى عن التحريف والتغيير، ومنها معرفة ما يقرأ به كلّ واحد من الأئمة القراء، ومنها تمييز ما يقرأ به وما لا يقرأ به، فكان حكم الله عزّ وجلّ فيه: الوجوب الكفائي تعلما وتعليما».(7)

2- مصدر القراءات ونشأتها

2-1: مصدر القراءات

القراءات القرآنية المتواترة هي جملة ما بقي من الأحرف السبعة التي نزلت على النبي **(صلّى الله عليه وسلّم)**، ومصدرها الوحيد هو "الوحي الربّاني" الذي نزل به "جبريل" الأمين عليه السلام على النبي **(صلّى الله عليه وسلّم)**، عن طريق النقل الصحيح المتواتر. قال الله عزّ وجلّ عن النبي **(صلّى الله عليه وسلّم)** في تلقيه القرآن والقراءات: **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى (5)﴾ [سورة النجم، الآيات:5/3]**، وليست القراءات القرآنية مأخوذة من خط عربي، أو رسم المصحف أو اجتهاد الصحابة أو التابعين، فلا مجال للرأي والاجتهاد في تحديد قرآنية الرواية ونسبة القراءات للقراء، كما قال "أبو عمرو الداني": هي نسبة اختيار ودوام ولزوم ورواية واشتهار، لا نسبة اختراع ورأي واجتهاد.(8)

2-2: نشأة علم القراءات

القرآن الكريم وحي من الله عزّ وجل، فهو بهذا مصدر ربّاني، أمّا القراءات فمحورها "القرآن"، ومصدرها بشري؛ قائم أساسا على اجتهادات البشر من علماء ومختصّين، ممّا يعني أنّ القرآن سابق للقراءات على عكس اعتقاد بعضهم ممّن يجعلون بداية نزول القراءات مع نزول القرآن الكريم. بعيدا عن هذه الخلافات فإنّ ما هو متّفق عليه أنّ القراءات قد شهدت عدّة مراحل ـ في نشأتها ـ يتداخل بعضها مع بعض حتّى استقرّت علما من العلوم القرآنية، ومجالا من مجالات الدراسات النحوية واللغوية بشكل عام. ويمكن إيجاز هذه المراحل فيما يأتي:(9)

1 ـ **مرحلة تعليم جبريل للرسول (صلّى الله عليه وسلّم)**: جاء في حديث "ابن عبّاس" رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): «**أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف**».(**)

2 ـ **مرحلة تعلّم الصحابة من الرسول (صلّى الله عليه وسلّم)**: حيث أمر الله تعالى نبيّه محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) بتعليم المسلمين وإقرائهم ما أقرأه "جبريل" عليه السّلام، قال تعالى: **﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [سورة القيامة، الآية: 18]**.

المنارة للاستشارات

3 ـ **مرحلة تعليم الصحابة بعضهم لبعض:** وذلك بأمر من النبيّ **(صلّى الله عليه وسلّم)**.

4 ـ **مرحلة تعلّم التابعين من الصحابة:** وفيها تم توحيد المصاحف على رسم يحتمل أكثر الأوجه الصحيحة المتواترة وأغلبها، نظرا لظهور الشذوذ وكثرة النزاع بين المسلمين بسبب تعدد القراءات.

5 ـ **مرحلة التخصّص في القراءات:** وهم القراء العشر المتفق على قراءتهم.

6 ـ **مرحلة التدوين في القراءات:** بدأ التأليف في علم القراءات منذ عصر مبكر، حيث كان القرآن الكريم وتلاوته شغلهم الشاغل عن كل شيء، حتى كان بعضهم يفضّل تعلّم القرآن وتعليمه على الجهاد في سبيل الله، إلّا أن المؤرخين قد اختلفوا في تعيين أيهم أول من ألّف في هذا الفن[***]، حيث قيل بأنّه الإمام "أبو عبيدة القاسم بن سلام" ـ كما سبقت الإشارة ـ وقيل إنّ الإمام "يحيى بن يَعْمُرْ" هو أول من ألّف في القراءات،...

إذن، فحركة التدوين في القراءات بدأت مذ أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري، وإن كان ذلك بصورة غير دقيقة، ثم أخذت تتطور في القرن الثالث الهجري وبلغت ذروة ازدهارها في القرنين الرابع والخامس، لتنحسر ابتداء من القرن السادس حتى القرن الثامن، وفي القرن التاسع الهجري لا نجد لهذا الفن سوى مصنفات تكاد تعدّ على الأصابع، وبعد القرن التاسع قلّ التصنيف وكانت جهود العلماء تكاد تكون مقصورة على شرح منظومة الإمام "الشاطبي"، ولعل سبب ذلك يرجع إلى قلة المشتغلين بهذه المادة العلمية إلى عزوف النّاس عن تلقيها لاستصعابهم إيّاها.

3- أركان القراءة الصحيحة ومراتبها

3-1: أركان القراءة الصحيحة

يُشْتَرَطُ لصحّة القراءة ثلاثة أركان وهي:[10]

1 ـ أن تكون متواترة بسند صحيح إلى رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)**، ولو صحّ سندها واشتهرت؛ أي لم تصل حدّ التواتر وتلقتها الأمّة بالقبول، لحقت بالقراءة المتواترة عند كثير من القراء.

2 ـ أن توافق اللغة العربية بوجه ما، ولا يشترط أن تكون أفصح، بل لو كانت فصيحًا تحقق الشرط.

3 ـ أن توافق أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالا.

ومثال الشرط الثالث: قرأ "الكسائي وعاصم ويعقوب وخلف العاشر" قوله تعالى: **﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة، الآية: 3]**، بالألف، وقرأها باقي القراء العشرة بدون ألف: **﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة، الآية: 3]**، ورسم المصحف يحتمل القراءتين.[11]، أمّا كلمة "احتمالا" فالمقصود بها: «توافق الرسم ولو تقديرا؛ إذ موافقة الرسم إمّا أن تكون تحقيقا؛ أي

المنارة للاستشارات

موافقة صريحة مثل قراءة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بدون "الألف" فهي توافق الرسم تحقيقا، وقراءة: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بـ "الألف" توافق رسم المصحف تقديرا أو احتمالا على تقدير إثبات الألف».(12)

إذن فالقراءة القرآنية حتّى تكون صحيحة لا بدّ أن تتوفّر فيها ثلاثة شروط مجتمعة، فإذا سقط شرط واحد منها، تحوّلت القراءة إلى شاذة، وهذه الشروط هي: صحّة السند، ولا يكون ذلك إلّا بالتواتر أو الإجماع بقبول تام على شهرة القراءة، موافقة وجه من وجوه النحو (النصب، والرفع أو الجر) سواء أكان الأفصح أم الفصيح المجمَع عليه أم المختلَف فيه، وكذا موافقة الرسم العثماني صراحة أو تقديرا؛ أي موافقة أحد المصاحف العثمانية التي كُتِبَتْ زمن "عثمان بن عفّان" رضي الله عنه.

3-2: مراتب القراءة

تختلف أحوال النّاس عند قراءتهم للقرآن، فمنهم من يتأنّى في قراءته ويتمهّل، ومنهم من يسرع فيها ويتعجّل، ومن هنا كانت للقراءة ثلاث مراتب وهي:(13)

1 ـ **التحقيق**: وهو القراءة بتؤدة واطمئنان مع تدبر المعاني القرآنية، ومراعاة أحكام التجويد، ويُستحسن أن يقرأ بها المتعلّمون والمبتدئون لإقامة ألسنتهم وإتقان أحكام التجويد.

2 ـ **الحدر**: هو الإسراع في القراءة مع المحافظة على قواعد التجويد ومراعاتها.

3 ـ **التدوير**: هو القراءة بحالة متوسطة بين التحقيق والحدر مع مراعاة أحكام التجويد.

ولكن هناك من يجعل للقراءة أربع مراتب، فإضافة إلى المراتب الثلاث المذكورة أعلاه، يجعلون **الترتيل** مرتبة أخرى من مراتب القراءة، على الرغم من أنّ الترتيل سواء أكان مرتبة أم غير ذلك، إلّا أنّه يبقى صفة للقراءة الملتزمة بأحكام التجويد في هذه المراتب الثلاث جميعها، وفي جميع هذه الحالات فإنّ الترتيل هو :«قراءة القرآن على مكث وتفهّم من غير عجل، وهو الذي نزل به القرآن، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ **[سورة المزمّل، الآية: 4]**، ومرتبة الترتيل أفضل المراتب».(14)، والترتيل بهذا المفهوم مثل: التحقيق، غير أنّ هذا الأخير يكون فيه الاطمئنان أكثر: «فالترتيل يكون للتدبّر والتفكير والاستنباط، والتحقيق يكون لرياضة الألسن وترقيق الألفاظ الغليظة، وإقامة القراءة وإعطاء كلّ حرف حقّه من المدّ والهمز والإشباع ...».(15)

وخلاصة لما سبق، فإنّ المعيار المعتمد في تحديد مراتب القراءة هو معيار **"التأنّي والعجلة"**، وعلى هذا الأساس يتمّ الحكم على القراءة من أيّ مرتبة هي؟، فالترتيل والتحقيق يقاس كلّ منهما بمعيار التأنّي، والحدر بمعيار السرعة أمّا التدوير فبمعيار الوسطية (بين السرعة والتأنّي)، غير أنّ جميع هذه المراتب باختلاف معاييرها تتفق في أهمّ مبدأ من مبادئ **علم التجويد** ألا وهو: "مراعاة أحكام قراءة القرآن الكريم"؛ بإعطاء الحروف جميعها حقّها ومستحقّها مخرجا وصفة.

المنارة للاستشارات

4- المصطلحات المتعلّقة بعلم القراءات

نحاول أن نحصر فيما يأتي أبرز المصطلحات ذات الصلة بهذا العلم:

4-1: الخلاف الواجب والخلاف الجائز:

يميّز "المارغني" بين نوعين من الخلاف فيقول: «واعلم أنّ الخلاف عند القراء قسمان: خلاف واجب وخلاف جائز، فالخلاف الواجب هو خلاف القراءات والروايات والطرق، فلو أخلّ القارئ بشيء منها كان نقصا في الرواية، والخلاف الجائز هو خلاف الأوجه المخبر فيها القارئ، كأوجه الاستعادة وأوجه البسملة بين السورتين والوقف بالسكون والرّوم والإشمام وبالطول والتوسط والقصر نحو "مَتَابْ" و"العَالَمِينْ" و"نَسْتَعِينْ"، فبأيّ وجه أتى القارئ أجزأ، ولا يكون ذلك نقصا في الرواية».(16)

ورد في هذا القول أربعة مصطلحات لها مدلول خاص عند علماء القراءات وهي:

«كلّ خلاف ينسب لأحد الأئمة العشرة ممّا أجمع عليه الرواة عنه فهو **قراءة**، وصاحبها **إمام**، وكلّ خلاف ينسب للراوي عن الإمام فهو **رواية** صاحبها **راوٍ**، وكلّ خلاف ينسب للآخذ عن الراوي فهو **طريق** وإن سَفَلَ، وأمّا **الأوجه** فهي الصور المختلفة التي يجوز للقارئ أن يقرأ بواحدة منها دون إلزام بصورة معيّنة، ودون أن يقال عنه أنّه قد قصّر في الرواية حينما اختار وجها وترك بقية الأوجه».(17)

مثال: سنقدّم مثالا عن رواية "ورش" عن "نافع" من طريق "الأزرق"، نبرز من خلاله الفرق بين الخلاف الواجب و الخلاف الجائز كما يأتي:

معروف أنّ للإمام القارئ "نافع المدني" روايتين "قالون" و "ورش"، ولكلّ رواية طريقان "الحلواني" و"أبي نشيط" عن "قالون"، "الأصبهاني" و"الأزرق" عن "ورش"، ونختار هنا طريق الأزرق، فنقول: إنّ الأصل في القراءة القرآنية عموما هي قراءة "نافع"، وكلّ خلاف جرى عن الأصل فهو رواية (ورش)، ثمّ إنّ كلّ خلاف عن هذه الرواية فهو طريق (الأزرق)، أمّا إذا اختار أحد القراء وجها جائزا ـ بشرط أن يكون قد ثَبُتَ عن القارئ أو الراوي أو الطريق ـ كأن يختار وجها واحدا من المدّ (مدّ البدل مثلا): إمّا بالإشباع (ست حركات)، أو التوسط (أربع حركات)، أو بالقصر (حركتان)، ولكن بشرط أن تكون هذه الأوجه الثلاثة كلّها قد قرأ بها الإمام أو الآخذ عن الإمام أو الآخذ عن الذي أخذ عن الإمام، وفي هذه الحالة لا يسمّى تقصيرا في الرواية مادام أنّه اختار وجها جائزا، وترك بقية الأوجه الجائزة **أيضا** وتلك هي علّة تسميته.

4-2: بين المقرئ والقارئ:

يفرّق "المارغني" بين المقرئ والقارئ فيقول: «المقرئ بضم الميم وكسر الراء: من علم القراءة أداء ورواها مشافهة، والقارئ مبتدئ ومتوسط ومنته؛ فالمبتدئ من أفرد إلى ثلاث روايات، والمتوسط إلى أربع أو خمس والمنتهي من عرف من القراءات أكثرها وأشهرها».(18)

المنارة للاستشارات

4-3: القراءات المقبولة:

وهي المتواترة والمشهورة والآحاد؛ فالقراءة المتواترة: هي ما رواها جمع غفير لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهى السند، وهذا النوع يشمل القراءات العشر المتواترات. ويمكن تقسيمها قسمين: القراءات السبع المتواترة، وهي قراءة كل من: "نافع المدني"، و"عبد الله بن كثير المكّي"، و"أبو عمرو البصري"، و"عبد الله بن عامر الشّامي"، و"عاصم بن أبي النجود الكوفي"، و"حمزة بن حبيب الكوفي" و"علي بن حمزة الكسائي". والثلاث التي تليها، وهي قراءات كلّ من: "أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني"، و"يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري" و"خلف بن هشام البزاز الكوفي". أمّا القراءة المشهورة: فهي ما صحّ سندها ولم تخالف الرسم ولا اللغة، واشتهرت عند القراء، فلم يعدّوها من الغلط ولا من الشذوذ، وهي دون القراءة المتواترة. فيحين أنّ القراءة الآحاد: هي ما صحّ سندها، وخالفت الرسم أو العربية ولم تشتهر الاشتهار المذكور، وكلّ قراءة من هذه القراءات الثلاث صحيحة، ولا تدخل حيّز الشذوذ.(19)

4-4: القراءة الشاذة:

وهي ما اختلّ فيها ركن من أركان القراءة الصحيحة: التواتر، موافقة الرسم العثماني وموافقة وجه من وجوه اللغة العربية، وعلى هذا الأساس يمكن أن نميّز لها بين أربعة أنواع:

1 ـ ما وافق الرسم والعربية، ولكنّه لم يصح في النقل بشكل يفيد القطع.

2 ـ ما وافق الرسم وصحّ نقله ولا وجه له في العربية.

3 ـ ما صحّ نقله ووافق العربية، ولكنّه خالف الرسم.

4 ـ ما وافق الرسم والعربية ولم ينقل البتة.

والقراءات الشاذّة هي القراءات التي رويت عن الأئمة الأربعة: "الحسن البصري"، و"ابن محيص"، و"يحي اليزيدي" و"الأعمش".(20)

من خلال ما سبق يمكن الحصول على ما يسمّى بـ: **القراءات الأربعة عشر**، وهي تلك التي تجمع القراءات السبع المذكورة، والثلاث التي تليها، والأربعة الشاذة.

وعليه فإنّ القراءات <u>من حيث السند</u> أنواع ستّة، فإلى جانب الأنواع الأربعة السابق ذكرها وهي: المتواترة والمشهورة، الآحاد والشاذّة، نجد نوعين آخرين هما: الموْضُوعُ والمدْرَجُ؛ «فالموضوع ما نُسِب إلى قائله من غير أصل، مثال ذلك القراءات التي جمعها "محمّد بن جعفر الخزامي" ونسبها إلى "أبي حنيفة"، وأمّا النوع السادس وهو ما يشبه المدرج من أنواع الحديث فهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير، كقراءة "سعد بن أبي وقّاص": ﴿**وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ**﴾ [**سورة النساء، الآية: 12**]، قرأها: ﴿**وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمٍّ**﴾ بزيادة لفظ "من أمّ"، وقراءة: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ [**سورة البقرة، الآية: 198**]، قرأها: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ**﴾، بزيادة لفظ "في مواسم الحجّ"».(21)

المنارة للاستشارات

4-5: القراءة: فرش وأصول

لكلّ مصطلح من هذين المصطلحين مدلول خاص، ومعنى معيّن كما يلي:

* **الأصول**: ويكون فيما: «يطّرد ويكثر دورانه في القرآن الكريم، ويجري القياس عليه، وذلك النوع يسمّى الأصول مثل: الإظهار، الإدغام، الإخفاء، المدّ، الفتح والإمالة، تفخيم الراءات أو ترقيقها... وهكذا».(22)

فالأصول بهذا المعنى هي المسائل الأساسية، والقواعد التي تنبني عليها الأحكام وتستقيم بها الألسنة، وعلى قارئ القرآن الإتيان بها كاملة غير منقوصة وإلّا بَطُلَتْ قراءته.

* **الفرش**: ويكون في تلك: «الكلمات المتفرّقة في القرآن الكريم، والتي يقلّ دورانها وورودها في السور ولا يقاس عليها، وذلك مثل اختلاف القرّاء في القراءة: **بالتذكير والتأنيث** في مثل: "يقبل وتقبل"، **بالتوحيد والجمع** فيمثل: "كتابه وكتبه"، **بالتخفيف والتشديد** نحو: "يكذبون ويكذّبون"، **بالغيب والخطاب** في مثل: "يعلمون وتعلمون" **بالإسكان والضمّ** مثل: "قُدْس وقُدُس"...الخ، وسمّي هذا النوع بالفرش أو بالفروع».(23)

إذن فهذا النوع على خلاف النوع الأوّل؛ ذلك أنّ وروده في القرآن محدود ومحصور إذا ما قورن بالنوع الأوّل، ثمّ إنّه يجوز للقارئ في هذا النوع أن يختار أحد الأوجه الجائزة التي قرأ بها أحد القراء العشرة المتفق على قراءتهم، وأن يترك بقيّة الأوجه الجائزة الأخرى، فمثلا قد يقرأ كلمة ما بالتخفيف أو بالتشديد ما دام أنّ كلا الوجهين جائزان لقراءة القرآن بهما؛ وذلك لثبوت هذه القراءة على أحد القراء العشرة أو روّاتهم.

4-6: القراء العشرة وروّاتهم:

يمكننا تلخيص القراء العشرة ورواتهم كما يلي:(24)

1 ـ القارئ: الإمام نافع المدني (ت169هـ) يروي عنه: الإمام ورش (ت197هـ) عن طريق الأزرق (ت240هـ) عن ابن النحاس أو ابن سيف (الأوجه) وكذا عن طريق الأصبهاني (ت296) عن: ابن جعفر أو المطوعي (الأوجه) والإمام قالون (ت220هـ) عن طريق أبو نشيط عن ابن بويان أو القزّاز (الأوجه)، وعن طريق الحلواني عن ابن أبي مهران أو جعفر بن محمّد (الأوجه).

2 ـ القارئ: الإمام ابن كثير المكّي (ت120هـ) يروي عنه: الإمام البزي (ت205هـ) والإمام قنبل (ت291هـ).

3 ـ القارئ: الإمام أبو عمرو بن العلاء البصري (ت154هـ) يروي عنه: الإمام الدوري (ت240هـ) والإمام السوسي (ت261هـ).

4 ـ القارئ: الإمام ابن عامر الشامي (ت118هـ) يروي عنه: الإمام هشام (ت245هـ) والإمام ابن ذكوان (ت242هـ).

المنارة للاستشارات

5 ـ القارئ: الإمام عاصم الكوفي (ت127هـ) يروي عنه: الإمام حفص (ت180هـ) والإمام شعبة (ت193هـ).

6 ـ القارئ: الإمام حمزة الكوفي (ت156هـ) يروي عنه: الإمام خلف البزاز (ت229هـ) والإمام خلّاد (ت220هـ)

7 ـ القارئ: الإمام الكسائي الكوفي (ت189هـ) يروي عنه: الإمام أبو الحارث (ت240هـ) و الإمام الدوري (ت246هـ).

8 ـ القارئ: الإمام أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني (ت128هـ) يروي عنه: الإمام أبو وردان (ت160هـ) والإمام ابن جمّاز (ت170هـ).

9 ـ القارئ: الإمام يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري (ت205هـ) يروي عنه: الإمام رُوَّيس (ت238هـ) والإمام رَوْح (ت234هـ).

10ـ القارئ:الإمام خلف بن هشام البزّاز البغدادي (ت128هـ) يروي عنه: الإمام إسحاق (ت286هـ) والإمام إدريس (ت292هـ).

5- الأحرف السبعة للقرآن

5- 1: مفهوم الحرف

أ/ لـغـة:

ورد في تفسير مادة "حَرَفَ": «الحَرْفُ من كلّ شيء: طرفه وشفيرُهُ وحدُّهُ، ومن الجبل: أعلاه المحدّد (...) وحَرَفَ لعياله يَحْرِفُ: كَسَبَ، والشيء عن وجهه: صَرَفَهُ، وعَيْنَهُ حَرْفَةً: كَحَلَهَا (...)، وحُرِفَ في ماله بالضمّ حَرْفَةً: ذهب منه شيء، والحُرْفُ بالضمّ: حبُّ الرشادِ (...) وأَحْرَفَ: نما ماله (...)».(25)

إذن، فالحرف من كلّ شيء: طرفه، وغايته، وذروته، وحدّه، وجمعه حروف وأحرف، كما أنّ للحرف دلالة لغوية أخرى لا تقلّ عن سابقاتها، ألا وهي الوجه مصداقا لقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ **[سورة الحج، الآية: 11]**. أي على حالة، كما سيتمّ ذكره فيما سيأتي من هذا البحث.

ب/ اصطلاحا:

يقدّم "ابن جنّي" في كتابه "سرّ صناعة الإعراب" تعريفا اصطلاحيا للحرف، يقترب فيه إلى حدّ بعيد من المعنى اللغوي، وفيه يقول: «الحرف حدّ منقطع الصوت وغايته وطرفه».(26)

ولعلّ أبرز وأهمّ تعريف أُعْطِي للحرف، هو ذلك التعريف الذي جاء به "ابن سينا" في رسالته: "أسباب حدوث الحروف"، وفيه يقول: «... والحرف هيئة للصوت عارضة له، يتميّز بها عن صوت آخر مثله في الحدّة والثقل تميّزا في المسموع».(27)

المنارة للاستشارات

وهناك العديد من الدارسين والباحثين الذين انْتَقَدُوا "ابن سينا" في هذا التعريف، وقالوا بأنّه يُبْطَل طردا وعكسا، فأمّا الطرد فلأنّ هناك هيئات عارضة للصوت يتميّز بها عن صوت آخر مثله في الحدّة والثقل تميّزا في المسموع، مع أنّه ليس شيء منها بحرف، وتلك الهيئات: طول الصوت وقصره وكونه مجهورا أو خفيا أو...، وكذا كيفيات أخرى بها يميّز الإنسان صوت شخص من صوت شخص آخر، وأمّا العكس فهو أنّ الحروف الصامتة البسيطة كالباء والتاء والدال والطاء آنية لا توجد إلّا في الآن ـ الذي هو بداية زمان الصوت ـ فلا تكون هيئات عارضة للصوت؛ لأنّها لو كانت كذلك لما وُجدت إلّا مع وجوده، لكن هذه الحروف لا توجد مع وجود الصوت؛ لأنّها إنّما توجد في الآن الذي هو آخر زمان حبس النفس، وأوّل زمان إطلاقه، والصوت لا يوجد إلّا في زمان إرسال النفس، فإذن هذه الحروف موجودة قبل وجود الصوت، فلا يمكن أن يقال: إنّها هيئات عارضة للصوت.

ومن اللغويين المحدثين الذين تحدّثوا عن الحرف "تمّام حسّان"، حيث يعرّفه بقوله: «... أمّا الحرف فهو عنوان مجموعة من الأصوات يجمعها نسب معيّن، فهو فكرة عقلية لا عملية عضلية».[28]

وهذا التعريف يشير إلى طبيعة الحرف على أنّه مكتوب؛ لأنّه حينما يقول: إنّ الحرف ليس عملية عضلية، فإنّه بهذا ينفي النطق، فضلا عن كونه ذا طابع ذهني معنوي، فعندما يقول: إنّ الحرف فكرة عقلية، فهو هنا يستبعد الجانب المادي للحرف.

أمّا عن عدد حروف العربية ففي ذلك يقول الإمام "الشيرازي": «وحروف المعجم عند جميع النحويين تسعة وعشرون حرفا، إلّا عند أبي العبّاس محمّد بن يزيد المبرد، فإنّها عنده ثمانية وعشرون حرفا؛ وذلك لأنّه كان لا يعدّ الهمزة حرفا منها، وكان يقول إنّ الهمزة ليس لها صورة، لأنّها لا تثبت على صفة، فإنّها تخفّف تارة بالحذف وتارة بالقلب، وتارة بالتلين».[29]، و في هذا يقول "المبرّد": «اعلم أنّ الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفا، منها ثمانية وعشرون لها صور، والحروف السبعة جارية على الألسن، مستدلّ عليها في الخطّ بالعلامات، فأمّا في المشافهة فموجودة».[30]

إذن، فاللغويون الذين جعلوا حروف العربية تسعة وعشرين حرفا، فإنّهم قد اعتبروا الألف حرفا والهمزة حرفا آخر غير الألف، أمّا من جعلها ثمانية وعشرين حرفا فإنّه قد أسقط الهمزة واكتفى بالألف بحجة أنّها قابلة للحذف والقلب والتخفيف، سواء عن طريق الإبدال أو النقل، أو بواسطة الإسقاط التام وغيرها من وسائل تخفيف الهمز.

5-2: دلالة العدد سبعة

المنارة للاستشارات

هذا بالنسبة لمعنى الحرف، أمّا فيم يخصّ كلمة السبعة ففيها يقول "المطرودي": «إنّ لفظ سبع للمؤنث وسبعة للمذكر من الأعداد الحسابية المعروفة، وهذا أصل استعمالها الحقيقي، أي العدد الذي يقع بين الستة والثمانية، فيقال سبع نسوة، وسبعة رجال».[31]

✍ قال الله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [سورة الحجر، الآية: 44].

✍ وقال أيضا: ﴿وَقَالَ المَلِكُ إِنِّيَ أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَاكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ...﴾ [سورة يوسف، الآية: 43].

وتجدر الإشارة هاهنا إلى أنّ كلمة "سبعة" قد تستعمل كما سيأتي التفصيل لاحقا للمبالغة في كثرة الآحاد، تماما مثلما تستعمل السبعين لإرادة الكثرة في العشرات، والسبعمائة للمبالغة في المئات وهلمّ جرّا.

5-3: الأحرف السبعة وصلتها بالقراءات القرآنية

إذن تعرفنا على المقصود بالحرف، وعلى المقصود بالسبعة، فماذا عن الأحرف السبعة، ما معناها؟ وما علاقتها بالقراءات القرآنية؟

قال الرسول (صلّى الله عليه وسلّم): «**أَقْرَأَنِي جِبْرِيلَ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**».[****]

انطلاقا من هذا الحديث فقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة ـ اختلافا شديدا ـ على أقوال كثيرة، فمنهم من يقول: إنّ الحرف من الألفاظ المشتركة التي تطلق في اللغة على عدّة معانٍ؛ ولهذا فالأحرف السبعة من المتشابه الذي لا يمكن معرفته، وهناك من قال: إنّ الأحرف السبعة هي القراءات السبع، وقالوا: المراد بها: سبعة أوجه من وجوه المعاني التي يتضمّنها القرآن الكريم، واختلفوا ـ أيضا ـ في هذه الوجوه، فمنهم من يقول إنّها: الزجر والأمر والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال، وقيل إنّها: وعد ووعيد وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج، وقيل إنّها: محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخصوص وعموم وقصص وقيل أيضا: أمر ونهي وحدّ وعلم وسرّ وظهر وبطن، وغيرها من الأقوال. وقيل إنّ المقصود بالأحرف السبعة: ألفاظ مختلفة ذات معان متّفقة، وترجع إلى لغات سبع من لغات العرب، واختلفوا كذلك في تحديد هذه اللغات السبع، وقيل أيضا المراد بها: لغات العرب اشتمل عليها القرآن مفرّقة فيه، وهي أفصح كلام العرب، وهم في ذلك لهم مذاهب شتّى، وهناك من يرجع المقصود بها: إلى وجوه الاختلاف بين القراءات...[32]

إذن فقد اختلف العلماء في المقصود بهذه الأحرف السبعة ـ كما رأينا ـ ولكّن كلّهم أجمعوا على أنّه ليس المقصود أن يكون الحرف الواحد يُقْرَأُ على سبعة أوجه، إذ لا يوجد ذلك إلّا في كلمات يسيرة نحو:[أف، جبريل، أرْجِهِ، هيهات وهيت]، وعلى أنّه لا يجوز أن يكون المراد

المنارة للاستشارات

هؤلاء السبعة: القراء المشهورين، وإن كان يظنّه بعض العوام، لأنّ هؤلاء السبعة لم يكونوا خُلقوا ولا وُجدوا، وأوّل من جمع قراءاتهم "أبو بكر بن مجاهد".(33)

يُرجِع "ابن الجزري" المقصود بالأحرف السبعة إلى أمرين اثنين هما: الأوجه والقراءات:(34)

فأمّا **الأوجه** بدليل قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ**﴾ **[سورة الحج، الآية: 11]**، فالمراد بالحرف هنا "الوجه"؛ أي على النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية، فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأنّ وعَبَدَ الله، وإذا تغيّرت عليه وامتحنه بالشدّة والضرّ ترك العبادة وكفر، فهذا عَبَدَ الله على وجه واحد، فلهذا سمّى النبيّ **(صلّى الله عليه وسلّم)** هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفا، على معنى: أنّ كلّ شيء منها وجه.

وأمّا **القراءات**، فقد رُوِيَ عن "عمر بن الخطّاب" أنّه قال: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)** فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئْنيها رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)**، فكدت أساوره في الصّلاة، فتبصّرت حتّى سلّم فَلَبَّبْتُهُ بِرِدائِهِ فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ، قال أقرأنيها رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)**، فقلت: كَذَبْتَ، فإنّ رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)** قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)** فقلت: إنّي سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئْنيها، فقال رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)**: كذلك أُنزلت، ثمّ قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)** كذلك أُنزلت، إنّ هذا القرآن أُنْزِلَ على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسّر منه».(*****)

يمكن أن نستنتج ممّا سبق ذكره: أنّ الأحرف السبعة ليست هي القرّاء السبعة؛ أولا لأنّهم لم يكونوا قد وجدوا بعد على رأي "ابن الجزري"، وثانيا لأنّ القراء ـ المتفق على قراءاتهم ـ يفوق عددهم سبعة، ولا هي بالقراءات السبع؛ لأنّ عدد القراءات المشهورة عشرة لا سبعة، كما أنّ المقصود بالأحرف السبعة ليس هو حروف الهجاء لأنّها ثمانية وعشرون حرفا ولا هي بسور القرآن الذي يبلغ عددها مائة وأربع عشرة سورة، ولا هي بآيات التنزيل الحكيم الذي فاق عددها ستّة آلاف آية،... وربّما يكون المقصود بالأحرف السبعة شيئا آخر لا علاقة له بالعدد نفسه بل بشيء آخر!

يقدّم الإمام "العسقلاني" رأيه في المقصود بالأحرف السبعة، ويقترب فيه كثيرا من رأي "ابن الجزري" السابق الذكر، غير أنّني أراه أكثر دقّة من رأي "ابن الجزري"، يقول: «إنّ المقصود بأنّ القرآن الكريم قد أنزل على سبعة أحرف؛ أي على سبعة أوجه يجوز أن يقرأ بكلّ وجه منها، وليس المراد أنّ كلّ كلمة ولا جملة منه تقرأ على سبعة أوجه، بل المراد أنّ غاية ما انتهى إليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة إلى سبعة، فإن قيل فإنّا نجد بعض الكلمات تقرأ على أكثر

المنارة للاستشارات

من سبعة أوجه، فالجواب أن غالب ذلك إمّا لا يثبت الزيادة، وإمّا أن يكون من قبيل الاختلاف في كيفية الأداء، كما في المدّ والإمالة ونحوهما، وقيل ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بل المراد التسهيل والتيسر، ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد، كما يطلق السبعون في العشرات، والسبعمائة في المئين ولا يراد العدد المعيّن».(35)

لقد فصل "العسقلاني" ـ إذن ـ من خلال هذا القول في مسألة المقصود "بالسبعة" في الأحرف، وأنّ المراد ليس العدد في حدّ ذاته، وإنّما هو بغرض التخفيف على الأمّة والتيسير والتهوين عليها، وتلك هي علّة تعدّد القراءات، والحكمة من ذلك أنّه يجوز للقارئ اختيار الوجه الذي يسهل عليه قراءة القرآن الكريم به، فكان من تيسير ورحمة الله تعالى بعباده أن أمر نبيّه "محمّدا" **(صلّى الله عليه وسلّم)** بأن يُقرئ كلّ أمّة بلغتها، فقبيلة تهمز وأخرى تحقّق، قبيلة تفتح والثانية تُميل، واحدة ترقّق والأخرى تفخّم... وهكذا دواليك.

وها هو "ابن مجاهد" يؤكّد ما قلناه، ولعلّ كلامه هو القول الراجح في كلّ ما قيل عن الأحرف السبعة، والمقصود بها عنده هي: لغات ولهجات القبائل كلغة قيس وتميم وقريش وغيرها، ودليل ذلك أنّ الرسول الكريم محمّدا **(صلّى الله عليه وسلّم)** كان يتلو كلمات القرآن الكريم بلهجات مختلفة تيسيرا على أهل تلك القبائل التي كان يتلو فيها آيات الذكر الحكيم، وتخفيفا عليها ومراعاةً للهجاتها المختلفة، وهذا ما جعل الصحابة يتلون آيات القرآن وسوره كلّ باللهجة التي سمعها عن الرسول الأكرم **(صلّى الله عليه وسلّم)** شفاهةً، ومثال ذلك واقعة "عمر بن الخطّاب" مع "هشام بن حكيم بن حزام القرشي"..، ولمّا كثرت أسئلة الصحابة على الرسول **(صلّى الله عليه وسلّم)** فيما يخصّ اختلاف النّاس في قراءة القرآن، قال عليه السلام: «إنّ هذا القرآن أُنْزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسّر منه» ***رواه البخاري***، وهو لا يريد بالسبعة ـ كما أشرنا ـ عددا معيّنا، إنّما يريد كثرة الحروف واللهجات التي نزل بها تسهيلا على العرب أن ينطقوا من كلماته بلهجاتهم، ما لا يمكنهم أن ينطقوه بلغة قريش ولهجتها الخاصة، وأخذ هو نفسه **(صلّى الله عليه وسلّم)** يصنع ذلك تيسيرا وتسهيلا.(36)

بناء على ما سبق يمكن القول: إنّ الأحرف هي اللغات أو الأوجه التي نزل بها القرآن، أمّا القراءات فهي كيفية أداء كلمات القرآن مع نسبة كلّ وجه لناقله من القراء أو الرواة عنهم، فهي بهذا الاعتبار: «جزء من الأحرف، وليست هي الأحرف عينها، والنسبة بينهما العموم والخصوص المطلق أيضا».(37)، ويؤكّد هذا الكلام "شعبان محمّد إسماعيل" فيقول: «إنّ الرأي القائل بأنّ المراد بالأحرف الواردة في الحديث هي قراءات الأئمة السبعة؛ فقراءة "نافع" حرف من الأحرف السبعة، وقراءة "ابن كثير" حرف آخر منها وهكذا مع باقي قراءات الأئمة السبعة، كلّ قراءة منها حرف من الأحرف السبعة رأي باطل».(38)

7- أقسام القراءات من حيث اتحاد المعنى وتعدّده

المنارة للاستشارات

تنقسم القراءات من ناحية اتحّاد المعنى وتعدّده إلى قسمين هما:

7-1: القراءات المتّحدة المعنى

وهي القراءات التي اختلف لفظها واتّفق معناها، ويدخل في هذا النوع القراءات المختلفة في الأصول كالاختلاف في المدّ، وتخفيف الهمزات والإظهار والإدغام، ويدخل فيه أيضا القراءات المختلفة في الفرش أحيانا. ومن أمثلة الاختلاف في الأصول، قوله تعالى: ﴿**الذِينَ يُومِنُونَ بالغيْبِ**﴾ [**سورة البقرة، الآية**: 3]، قُرئت"يؤمنون" بالهمز وقُرئت بالإبدال، ومن أمثلة الاختلاف في الفرش قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ يَاتُوكُم أُسَارَى تُفَادُوهُمْ**﴾ [**سورة البقرة، الآية**: 85]، قرأ "حمزة" "أسرى" بفتح الهمزة وسكون السين من غير ألف، وأمّا الباقون من العشرة فقد قرؤوها "أسارى" بضمّ الهمزة وألف بعد السّين.(39)

7-2: القراءات المتعدّدة المعنى

وهي القراءات التي اختلف لفظها ومعناها أيضا، وهذا النوع لا يوجد إلّا في الفرش، بل إنّ غالب الفرش من هذا النوع، ومثاله قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا للهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ [**سورة إبراهيم، الآية**: 30]، قرأ "ابن كثير وأبو عمرو": ﴿**لِّيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ بفتح الياء؛ أي ليَضِلّوا هم، أي يصيرون ضلالا، وحجّتهم قوله تعالى:﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ [**سورة النحل، الآية**: 125]، وقرأ الباقون من السبعة "ليُضِلّوا" بضمّ الياء، أي ليضلّوا غيرهم، ولكن معنى القراءة الأولى أبلغ، لأنّه قد يَضِلُّ في نفسه ولا يُضِلُّ غيره، أمّا القراءة الثانية فتفيد أنّه ضَالٌ مُضِلٌ: أي أنّهم ضالون لشركهم مضلون غيرهم.(40)

فالفرق بين النوعين ببساطة أنّ الأول: ما اختلف فيه اللفظ واتفق المعنى، ويكون ذلك في أصول القراءة كما يكون في فرشها، أمّا الآخر فهو ما كان فيه تعدّد في اللفظ والمعنى على السواء، وهذا النوع يكون قصرا على الفرش ولا يمس أصول القراءة.

8- علاقة القراءات بالقرآن الكريم:

للعلماء في ذلك ثلاثة آراء، فمنهم من يجعل القراءات والقرآن الكريم مختلفين اختلافا تامّا ومن هؤلاء الإمام " بدر الدّين الزّركشي"، وهناك من يقول: إنّهما شيء واحد أمثال "محمّد سالم محيسن"، ومنهم من يتوسط بين هذا وذاك كـ "شعبان محمّد إسماعيل".

يرى الإمام "الزركشي" أنّهما حقيقتان متغايرتان، ودليله أنّ القرآن هو: الوحي المنزّل على محمّد (**صلّى الله عليه وسلّم**) للبيان والإعجاز، والقراءات ـ كما أسلفنا أثناء الحديث عن مفهوم القراءات ـ هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما، ولا بدّ فيها من التلقّي والمشافهة؛ لأنّ فيها أشياء لا تحكم إلّا بالسّماع والمشافهة.

ونجد "شعبان محمّد إسماعيل" يردّ على "الزركشي" قائلا: «إنْ كان الزركشي يقصد بالتغاير: التغاير التّام فلست معه، إذ ليس بين القرآن والقراءات تغاير تام، فالقراءات

المنارة للاستشارات

الصحيحة التي تلقّتها الأمّة بالقبول ما هي إلّا جزء من القرآن الكريم، فبينهما ارتباط وثيق: ارتباط الجزء بالكلّ».[41]

ولعلّ هذا ما يقصده الإمام "الزركشي" حينما يقول في موضع آخر: «ولست في هذا أنكر تداخل القراءات إذ لابدّ أن يكون الارتباط بينهما وثيقا، غير أنّ الاختلاف على الرغم من هذا يظلّ موجودا بينهما، بمعنى أنّ كلا منهما شيء يختلف عن الآخر لا يقوى التداخل بينهما على أن يجعلهما شيئا واحدا، فما القرآن إلّا التركيب واللفظ، وما القراءات إلّا اللفظ ونطقه، والفرق بين هذا وذاك واضح بيّن».[42]

فالإمام "الزركشي" هنا يؤكّد بأنّ القرآن يختلف عن القراءات، ولكن في الوقت ذاته لا ينكر وجود تداخل بينهما، وأنّ هذا التداخل لا يعني في جميع الأحوال كونهما حقيقتين متماثلتين. وعلى هذا الأساس فإنّ القراءة هي تقنية التلفظ بالقرآن بطريقة تُقصد فيها الفنية قصدا.

يورد "محمّد سالم محيسن" رأيه في هذه المسألة، منتقدا الإمام "الزركشى" في الوقت ذاته فيقول: «ولكنّني أرى أنّ الزركشي ـ مع جلالة قدره ـ قد جانبه الصواب في ذلك، وأرى أنّ كلا من "القرآن" و"القراءات" حقيقتان بمعنى واحد، يتّضح ذلك بجلاء من تعريف كلّ منهما، ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول القراءات».[43]

ويردّ "شعبان محمّد إسماعيل" مرّة أخرى على رأي "محمّد محيسن" معقّبا على كلامه فيقول: «أمّا ما قاله الدكتور "محمّد محيسن" في أنّهما ـ أي القرآن والقراءات ـ حقيقتان بمعنى واحد ما دام أنّ كلا منهما وحي منزّل، فمردود وغير مقبول ولم يقل به أحد من علمائنا السابقين، فلا يمكن أن يقال: إنّ القرآن والقراءات حقيقتان متّحدتان؛ لأنّ القراءات على اختلاف أنواعها لا تشمل كلمات القرآن الكريم كلّه، بل هي موجودة في بعض ألفاظه فقط، فكيف يقال إنّهما حقيقتان متّحدتان».[44]

لقد أصاب "محمّد إسماعيل شعبان" في مذهبه هذا، لأنّه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نُسَوِّي بين القرآن والقراءات، ولكن هذا لا يعني أنّهما حقيقتان متغايرتان، كما أنّهما غير متماثلتين، فالعلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص، فليس القرآن هو القراءات عينها، وليس القراءات هي القرآن نفسه؛ ذلك أنّ ليس ألفاظ القرآن جميعها قد وردت في القراءات، ولهذا لا يمكن أن نُسَوِّي بينهما، إذن فالقراءات جزء من القرآن، وأنّ التداخل الموجود بينهما لا يعني أبدا اتحادهما وكونهما شيئا واحدا.

خاتمة:

نصل في نهاية المطاف إلى استخلاص ورصد جملة من النتائج، نورد أبرزها في النقاط التالية:

المنارة للاستشارات

• إنّ المقصود بالأحرف السبعة ليست هي القراءات السبع المشهورة، بل هي الأوجه الجائزة لقراءة القرآن الكريم بها، كما أنّه ليس المقصود بالسبعة حقيقة العدد كما رأينا، وإنّما هي الكثرة، إحالة إلى التسهيل والتيسير في قراءة القرآن، والتخفيف والتهوين على الأمّة، وعدم إلزامها بقراءته على وجه واحد.

• الأحرف السبعة هي الأوجه ومختلف اللغات التي نزل بها القرآن الكريم، أمّا القراءات القرآنية فهي كيفية أداء كلمات القرآن، لتكون القراءات بهذا الاعتبار جزءا من الأحرف وليست هي نفسها، فالعلاقة التي تجمعهما هي علاقة عموم وخصوص.

• جميع الاختلافات التي وقعت بين القراءات المتواترة ترجع إلى التلقي والمشافهة، نابعة من نزول القرآن على سبعة أحرف، وممّا تلقاه الصحابة رضوان الله عليهم في الأخذ عن رسول الله **(صلّى الله عليه وسلّم)**، فمنهم من تلقّى عنه حرفا واحدا، ومنهم من تلقّى أكثر من ذلك، وهم قد لقّنوه لمن بعدهم، وهكذا تلقّته الأمّة جيلا بعد جيل صحيحا متواترا.

بعد عرض أهمّ النتائج التي تمّ التوصّل إليها من خلال هذه الدراسة، يمكن إيجاز أبرز التوصيات في النقطة التالية:

- ضرورة العناية بعلم القراءات القرآنية، لكونه من العلوم الجليلة ذات الصلة بكتاب الله تعالى، ولأنّ كثيرا من النّاس قد يجهل هذا العلم بسبب الخوف من الخوض في غماره، بحجّة اكتفائه بتجويد أصوات القرآن، وقراءته على رواية واحدة فقط دون غيرها، لكن ما من أحد أقبل على علم القراءات بجدّ وشغف إلاّ وحظي بعظمة ورفعة هذا العلم، واستمتع بجماله وروعة نسقه.

الهوامش والإحالات:

* . جاء في كتاب "تاريخ القرآن": أنّ كلمة "قرآن" المأخوذة من الفعل: "قَرَأَ" ذات جذور في اللغة السريانية، هذه الأخيرة التي تعرف إلى جانب الفعل: "قَرَأَ" أيضا الاسم: "قِرْيَانَا"، وهذا الاحتمال - إن صحّ - يقوّي بأن يكون المصطلح "قرآن" لم يتطوّر داخل اللغة العربية من المصدر المشابه في المعنى، بل أن تكون الكلمة مأخوذة عن تلك الكلمة السريانية، ومطبّقة في الوقت نفسه على وزن فُعْلان... **للمزيد من التوسع ينظر: تيودور نولدكه: تاريخ القرآن، ج1، تح: فريديريش شفالي، دار نشر جورج ألمز، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص ص30، 32.**

1. جمال الدّين أبو الفضل محمّد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري: لسان العرب، مج1، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ/ 2005م، مادة "قَرَأَ".
2. بدر الدّين محمّد عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، تح: أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، دط، دس، ص318.
3. محمّد بن محمّد بن الجزري: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، راجعه: محمد حبيب الله الشنقيطي وأحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1400هـ/ 1980م، ص3.

المنارة للاستشارات

4. أحمد بن محمّد البنا الدمياطي: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ج1، تح: شعبان محمّد إسماعيل، علم الكتب، بيروت، لبنان، ومكتبة الكلّيات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط1، 1407هـ/ 1987م، ص67.
5. محمّد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، تح: فوّاز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ/1995م، ص336.
6. ينظر: أبو عبد الله محمد بن شريح الرّعيني الأندلسي: الكافي في القراءات السبع، تح: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/ 2000م، ص9.
7. سيدي إبراهيم المارغني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 1415هـ/ 1995م، ص17.
8. محمد أحمد مفلح القضاة وآخرون: مقدمات في علم القراءات، دار عمّار، عمّان، الأردن، ط1، 1422هـ/ 2001م، ص48.
9. ينظر: منصور كافي: علم القراءات: مفهومه، نشأته، مصدره، أقسامه ومدارسه، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، دط، 1429هـ / 2008م، ص ص25، 31.

** . أخرجه: أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدَزَبَة البخاري الجعفي في صحيحه (صحيح البخاري)، مج3، ج6، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، شركة الشهاب، الجزائر، دط، 1411هـ/ 1991م، ص100.

*** . جاء في "الفهرست" للشيخ "الطوسي"(ت/460هـ): أنّ "محمّد بن موسى بن أبي الصلت صاحب اللؤلؤ" قال نقلا عن "أحمد بن محمّد بن موسى": «سمعت أبان بن تغلب ومَا أَقْرَأَ منه يقرأ القرآن من أوّله إلى آخره، وذكر القراءة، وسمعته يقول: إنّها الهمزة رياضة...»، يعني أنّ التكلّمبالهمزة والإفصاح عنها مشقة بالهمزة والإفصاح عنها مشقة ورياضة بلا تُمُرْ، فلا بدّ من التخفيف...، ويفهم من الكلام السابق أيضا أنّ "أبان بن تغلب الربيعي أبو سعيد" قد كان متقدّما في كلّ فن من العلم والقرآن والفقه والحديث، وكان أوّل من صنّف في القراءة على الإطلاق، ودوّن علمها وجمع القراءات، غير أنّه كان من علماء الشيعة فلم يهتمّوا بذكره، وأغفلوا تقدّمه وريادته. **<u>لمزيد من التوسّع ينظر: أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي: الفهرست، تح: محمّد صادق آل بحر العلوم، المكتبة المرقضوية للنشر والطباعة، نجف، العراق، دط، دس، ص18.</u>**

10. صلاح صالح سيف: العقد المفيد في علم التجويد، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط1، 1408هـ/ 1987م، ص ص92- 93.
11. سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن في تجويد القرآن، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 1430هـ/ 2009م، ص28.
12. المرجع نفسه، ص ن.
13. محمّد عصام مفلح القضاة: الواضح في أحكام التجويد، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط3، 1418هـ/ 1998م، ص11.
14. محمّد محمود عبد الله: كيف تجوّد القرآن العظيم"أوضح البيان في أحكام تلاوة القرآن"، مكتبة القدسي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1417هـ/ 1996م، ص16.
15. محمّد بن محمّد بن الجزري: التمهيد في علم التجويد، تح: علي حسين البوّاب، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط1، 1405هـ/ 1985م ص49.

المنارة للاستشارات

16. سيدي إبراهيم المارغني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، ص18.
17. أحمد البيلي: الاختلاف بين القراءات، دار الجيل، بيروت، لبنان، والدار السودانية للكتب، الخرطوم، السودان، ط1، 1408هـ/ 1977م، ص85.
18. سيدي إبراهيم المارغني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع، ص ص17- 18.
19. ينظر: حليمة سال: القراءات روايتا ورش وحفص دراسة تحليلية مقارنة، دار الواضح للطباعة والنشر والتوزيع، الإمارات، ط1، 1435هـ/ 2014م، ص ص42، 46.
20. ينظر: محمّد أحمد مفلح القضاة وآخرون: مقدّمات في علم القراءات، ص72، وأيضا: منصور كافي: علم القراءات، ص53.
21. محمّد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص ص349- 350.
22. صبري الأشوح: إعجاز القراءات القرآنية (دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء)، مكتبة وهيبة، القاهرة، مصر، ط1، 1419هـ/ 1998م، ص87.
23. المرجع نفسه، ص ن.
24. للمزيد من التوسّع ينظر: محمّد أحمد مفلح القضاة وآخرون: مقدّمات في علم القراءات، ص ص83، 122، وأيضا: عبد الجليل غزالة: اللسانيات والإسلام والثقافة الأفريقية، دار الكتب الوطنية بنغازي، طرابلس، ليبيا، دط، 1430هـ/ 2009م، ص ص80، 83، وأيضا: فضيلة مسعودي: التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية قراءة نافع أنموذجا، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1429هـ/ 2008م، ص ص70، 76، وأيضا: شعبان محمّد إسماعيل: القراءات أحكامها ومصدرها، مطابع رابطة العالم الإسلامي، السعودية، ط2، 1414هـ/ 1993م، ص ص67، 84.
25. مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1428هـ/ 2007م، مادة "حَرَفَ".
26. أبو الفتح عثمان بن جنّي: سر صناعة الإعراب، ج1، تح: حسن هنداوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 1413هـ/ 1993م، ص14.
27. أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمّد حسّان الطيّان، ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، دط، دس، ص60.
28. تمّام حسّان: اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط4، 1421هـ/ 2001م، ص129.
29. نصر بن علي بن محمّد أبو عبد الله الشيرازي الفارسي النحوي (ابن أبي مريم): الموضح في وجوه القراءات وعللها، ج1، تح: عمر حمدان الكبيسي، إشراف: عبد الفتّاح إسماعيل شلبي، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في فرع اللغة، جامعة أمّ القرى، السعودية، 1408هـ/ 1987م، ص162.
30. أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرد: المقتضب، ج1، تح: محمّد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، مصر، دط، 1415هـ/ 1994م، ص328.
31. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي: الأحرف القرآنية السبعة، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط11411هـ/ 1991م، ص11.

****. الحديث رواه الإمام البخاري (سبق تخريجه).

المنارة للاستشارات

32. ينظر: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي: الأحرف القرآنية السبعة،ص ص21، 78. وأيضا: الحافظ أبو الخير محمّد بن محمّد الدمشقي بن جزري: النشر في القراءات العشر، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دس، ص ص19، 31.
33. ابن جزري: النشر في القراءات العشر، ج1، ص24.
34. نفسه، ص ص23- 24.

*****. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (المعلومات السابقة)، ص100.

35. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج9، تح: مُحِبْ الدّين الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، دس، ص23.
36. ينظر: أحمد بن موسى بن مجاهد: كتاب السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، 1972م، ص ص5- 6.
37. منصور كافي: علم القراءات، ص19.
38. شعبان محمّد إسماعيل: القراءات أحكامها ومصدرها، ص ص85، 87.
39. منصور كافي: علم القراءات، ص56.
40. المرجع نفسه، ص ص56- 57.
41. شعبان محمّد إسماعيل: القراءات أحكامها ومصدرها، ص24.
42. الزّركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص318.
43. محمّد سالم محيسن: القراءات وأثرها في علوم العربية، ج1، مكتبة الكلّيات الأزهرية، القاهرة، مصر، دط، 1404هـ/ 1984م، ص10.
44. شعبان محمّد إسماعيل: القراءات أحكامها ومصدرها، ص24.

المنارة للاستشارات